**محاضرة رقم 5 / بعض مصطلحات المؤرخ التاريخية**

**الحادثة (*Episode*):**

هي مادة المؤرخ الأساسية ومحور موضوعات المعرفة التاريخية وتدل على شيء وقع في الماضي في زمان ومكان معينين، مما يسترعي اهتمام المصنفين وتغطيته، كحصار بغداد من قبل هولاكو في 656ه/1258م، او نكبة الوزير الايلخاني رشيد الدين فضل الله على يد سلطان ابى سعيد في 718ه/1318م، فهي تنطوي على حدث أو جملة أحداث معقدة متداخلة تتعلق بهذا الماضي تدور حول مؤامرة على أحد السلاطين ورد فعل الامراء الخواص حولها، أو هجرة للقبائل من إقليم الى آخر (كتحرك بني هلال من مصر صوب المغرب) وهكذا، ولكن الحادثة أو الواقعة فيما تسمى ايضا، لا تتطابق في المعنى مع الحدث (Event) مع ان الأخير يكون احد عناصر الحادثة، كأن نقول ان ظهور عماد الدين زنكي في الموصل خلال فترة التحدي الصليبي للعالم العربي في بلاد الشام ابتداءً بسنة 521 هجرية كان حدثا مهما بالنسبة لدولة الأتابكية هناك، كما ان الحادثة تختلف عن القصة (Story)، الا انها تدخل في محتوياتها.

والحادثة التاريخية اما ان تكون عامة جدا على مستوى الدولة أو الأمة، كالغزو المغولي للعراق، او غزوهم للشام زمن الناصر يوسف الأيوبي، أو حادثة فردية ترتبط بأحد الافراد من المسؤولين، أو بفئة معينة وغيرها، وتتحد بعنصري المكان والزمان من الماضي، وكل ما لا يتحدد بهذين العنصرين يفقد صفة الحادثة وينفي صفتها التاريخية، والواقع ان الحوادث التاريخية من حيث طبيعتها تنطوي على خصائص معقدة بعضها تحمل صفة فريدة، وترتبط بالنظام الحولي للمصادر، لكنها لا تأتي مرتبة ترتيبا زمنيا، بل تنتشر مادتها في الاخبار المختلفة، ولا ترد متكاملة أو منسقة، وإنما تأخذ سنين أو أشهر من سنين لتغطيتها، وواجب المؤرخ حينئذ أن يجعل منها حادثة متكاملة، ويرسم بدقة كل خصائص الأدوار التي تمر بها، حيث تشمل على دور تأسيسي افتتاحي، الى دور الاكتمال ودور اختتامي، ولكن يجب ان يدرك بأن هذه الحوادث لا تشاهد بوسائل مباشرة، بل يعمد المؤرخ الى تخيلها عن طريق ما تخلف عنها.

**الظاهرة التاريخية (*Historical phenomenon*):**

اي شيء غير اعتيادي يخص الأشخاص أو الاشياء لأمور وقعت خلال فترة زمنية معينة من الماضي يأخذ شكل الظاهرة التاريخية ، وليس هناك أحد أحرص من المؤرخين على استعمال هذا التعبير في أعمالهم التاريخية ، فمثلا في القول ان ارتقاء الخليفة المسترشد للخلافة العباسية يعد ظاهرة تاريخية في سجل هذه المؤسسة ، لأن عهد المسترشد (512-529 هجرية) ، كان قد شهد بدايات تطبيق سياسة النهوض بالخلافة العباسية ، والاستقلال عن نفوذ السلاجقة ، التي وضع المسترشد أُسسها شخصياً ، رغم النهاية المحزنة التي آل اليها بسبب سياسته هذه ، أو في مثل آخر ، السيطرة التي كان يقوم بممارستها الامراء الأتراك على الخلفاء العباسيين منذ استخدامهم من قبل الخليفة المعتصم في جيش الخلافة.

**الخبر والرواية (*Report / Tradition*):**

التاريخ في أحد تعاريفه هو (الخبر) أو (علم الخبر)، ونظرة واحدة الى عناوين المصنفات التاريخية –العربية توضح مدى العلاقة الوثيقة بين الخبر والتاريخ، كأخبار الزمان للمسعودي، والمنتظم في أخبار الملوك والامم لإبن الجوزي، او اخبار الدولة السلجوقية لإبن ناصر الحسيني، فالخبر قول عن حادثة تاريخية، نقلها أحد الرواة تتعلق بفعل معين يتحمل الصدق والكذب معاً، مثلاً ما أورده الطبري عن حادثة نكبة البرامكة بأمر من الخليفة هارون الرشيد، بمعنى ان (الخبر موقع للرواية) والرواية بدورها مادة التاريخ والأخبار عموما، لكن مشكلة المؤرخ تبقى دائماً كيفية القطع بصحة هذه الاخبار، وبقبول تفصيلاتها، اذ لا يوجد ثمة برهان على صحتها الا عن طريق النقد لمحتوياتها، ولسلسلة الاسناد المرتبطة بها، لأنه لا توجد طبيعة معينة للخبر، وفي هذا المحتوى، ان كل ما يحصل عليه، هو الترجيح للمتناقل، بعد تقرير الثقة بمنقول الراوي عن طريق التنوع.

**الدافع (*Motive*):**

كل شيء يدفع الانسان الى فعل معين له دافع ، فما قام به الوزير نظام الملك خلال وزارته للسلطان آلب - ارسلان من بنائه لسلسلة من المدارس النظامية في مدن الخلافة الشرقية له دافع يخص الوزير ، واصلاح الخليفة الناصر لدين الله (575-622هجرية) ، لنظام الفتوة له دافع يتعلق بسيرة وسياسة هذا الفتى العباسي الموهوب في ربط عناصر المجتمع السياسي البغدادي بسياسة الخلافة ، وهكذا بالنسبة لتبني السلطان محمود غازان (694-703 هجرية) للإسلام على أثر توليه العرش الايلخاني بدلا عن الديانة البوذية ، التي كان يعمل بها بين المغول- الايلخانيين قبل غازان.

فالدافع في مفهومه اذن يتضمن شيئاً أكثر من هذا التعريف البسيط، ولا يتقابل من حيث المعنى مع السبب، فهو يرتبط بكل افعال الانسان واعماله في الماضي على مستوى المجتمعات والدول الحاكمة من الخلفاء والسلاطين والامراء وغيرهم من المسؤولين، والمؤرخ يتكلم عادة عن أنواع من الدافع، كالدوافع السياسية، والدوافع الاقتصادية، والدوافع الذاتية وهكذا، فالدافع كما يظهر في جوانب من عمل المؤرخ الكتابي، هو من أهم القضايا التي تتحدى المؤرخ وعليه معالجتها بكل عناية وتروي ، وقد ينجح في التوصل الى مكنوناته ، وقد لا يهتدي الى شيء ثابت أصلا ، سوى تثبيت ما توصل اليه من ملاحظات على انها حالة الدافع لمثل هذا الفعل التاريخي أو ذلك، فما يظهر لأول وهلة على شكل دافع قد يكون أمرا آخر لا علاقة له بمثله، والسبب في ذلك ان الدافع شيء يتعلق بالإنسان وحده، ومن غير السهل اكتشاف وتشخيص دوافع الانسان لعمل من الاعمال العمرانية والسياسية والادارية التي قام بها في الماضي طالما كانت هذه الدوافع تكمن في صدره شخصيا، ولا يمكن استجوابه عنها، كما نعلم لاستحالة مثل هذا في التاريخ، ولذلك قد يكون شيئا مهما للغاية وقد يكون امرا تافها، وفي حالات أخرى قد يكون حالة دينية أو من مبدأ الرغبة في الانتقام وشهوة الحكم، فماذا يعمل الباحث إذا" في مسألة تقرير طبيعة الدوافع التي يعالجها ضمن موضوع معين؟ كلما يمكن عمله في هذه المسألة هو اللجوء الى الترجيح، في ضوء عدد من الاسئلة تخص النقطة موضوع البحث، والتي يحاول الاجابة عنها من خلال مادته المتوفرة، لكن عليه أن يتريث في احكامه، اذ قد يتضلل بخلفيات دوافع المسألة، وربما يتوصل الى شيء ثابت، لكن يتحتم عليه في هذه الحالة، ان يفحص ذلك ضمن سلسلة من الفعاليات العائدة للموضوع، والتي تعرف تفاصيلها في المصادر.

**العامل (*Factor*):**

للمؤرخين ولع خاص في متابعة العوامل التي ترتبط بحوادث التاريخ وفي تقرير خصوصياتها بالنسبة للأشخاص والحركات وغيرها ، بمتابعة هذه العوامل وتشخيصها والتيقن منها ، مثلاً ، عند دراسة سيرة وعمل صلاح الدين الايوبي ان نتساءل ونحدد العوامل التي ساعدت على ظهور هذا السلطان ، وعلى نجاحه وانجازاته ، أوفي مثل آخر ، نتيقن من العوامل التي ساهمت في عزل الخليفة الراشد وتعيين المقتفي بدلا عنه في 530هجرية/1136م خلال ازمة حادة بين السلطنة السلجوقية والخلافة العباسية ، كان على رأسها السلطان مسعود السلجوقي وهذا يستدعي النظر في مثل هذه العوامل والتيقن منها عند درس الفتن والثورات والحركات التي تقترن بالتاريخ الاسلامي والحديث ، وما يلاحظ عليها هو انها أي العوامل ، تقع بين منزلة السبب والتفسير للحدث ، أو الشيء وتقابل معنى العامل المؤثر (*Infiuencing Factor*).

**السبب والمسبب والسببية (*Cause ,Effect ,Causation*):**

ان من أهم واجبات المؤرخ اثناء تصديه لدراسته التاريخ ان يعين الأسباب التي تقف وراء الأحداث التاريخية، ويحدد ما يقف ورائها من سبب أو الأسباب، لأن لكل شيء وقع في الماضي سببا أو أسباباً يتطلب التحقق منها بذهنية مؤرخ حاقة، ويتيقن ذلك بموضوعية تاريخية محضة لأن مهمة المؤرخ في البحث لا تقتصر على الوصف والتحليل وحدهما، مع الاعتراف بأهمية ما يقوم به، وانما تشمل فوق كل شيء تفسير الحوادث المتعلقة بذلك تفسيرا علمياً ومنطقياً، وهذه الخطوة تتطلب تشخيص العوامل الفاعلة للأعمال الانسانية وتقويم العلائق المتبادلة بينها، ضمن نظام منهجي متكامل فيه تثمين للاتجاهات التي تنشأ عن العوامل الرئيسة قيد المتابعة، والنتائج والوجهات التي ترتبط بها، وفي التعرف على حالات الفعل والفاعل واتجاهاتها فمثلاً، لابد من التعرف على موقف وتصرفات سلاطين السلاجقة وامرائهم في السلطنة، من اجل متابعة سياسة هؤلاء في الجهاد تجاه الصليبيين الفرنج، والحقيقة التي لا تقبل الشك ان لكل حادثة سبب ومسبب (علة ومعلول)، فالسبب يمثل الفعل، وهو في المصادر مقدمة من حادثة تاريخية، بينما المسبب له يأخذ صفة الفاعل أو النتيجة، ويمثل شيئاً من حادثة الى أخرى مستقلة، والسببية (العّلية) مرتبطة بالتعليل لها، وهو ما يقابل البرهان في التاريخ، كجواب للماذات المتتابعة التي تشغل بال المؤرخ، وتوجد نظريات فلسفية متقدمة في هذا الموضوع، يرجع اصحابها الى الفلاسفة أو المؤرخين.

من أجل هذا التعقيد في تحديد السببية كثر الوهم بين المؤرخين في تقرير أسباب قيام الثورات والحروب، وفي انحلال الحضارات والدول، الأمر الذي أدى بمرور وتقدم البحث في الدراسات التاريخية الأكاديمية، الى تهاوي كثير من النظريات التاريخية الحديثة الهامة، كنظرية هنري بيرين عن قيام الحضارة الرومانية وسقوطها لما يعزوه تحول طرق التجارة بسبب قيام الدولة العربية الاسلامية.

فالمؤرخ المبتدئ يجب أن يدرك بأن التاريخ قد شهد تبادل وانتقال من حال الى آخر كالانتقال من الأمويين الى العباسيين، ومن الأيوبيين الى المماليك، وهكذا، وان على الباحث المبتدئ الى تشخيص أحوال الاثنين معا، السياسية، الاقتصادية، والعقائدية وغيرها حتى يوضح علاقة الاول بالثاني، في ضمن الأحوال التي نمت وتطورت عن طريق سياسة الدول كليهما، أما خير من أهتم بهذا الجانب من المؤرخين العرب، وخير من دعا الى دراسته ومتابعته فهو ابن خلدون الفيلسوف والمؤرخ التونسي الأصل، الذي أكد على ضرورة ملاحظة أسباب الوقائع والأحوال ومراعاتها عند محاولتنا تحديد نوع وطبيعة العلائق بينهما ، كما اهتم بهذا الامر ايضا الفقهاء والمتكلمون المسلمين في فرضياتهم الفقهية، وفي مناقشاتهم الكلامية.